مجلة الآداب واللغات، المجلد 21 ، العدد 1، 2021،ص ص: 61 - 70

مجلة الآداب واللغات
جامعة أبي بكر بلقايد،تلمسان / الجزائر
ISSN : 2676-1963/ EISSN: 2676-167X
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/416

الجهود النقدية في بلاد المغرب العربي خلال القرن الخامس الهجري

The efforts of literary criticism in the Maghreb during the fifth century

د/فريدة بن عاشور[1]، جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة-الجزائر.benfari@yahoo.com

تاريخ المقال

الإرسال:2021-05-18 القبول:2021-06-25 النشر:2021-10-28

ملخص البحث

تعدّ الآراء النقدية حصيلة جهود متضافرة لكثير من النقاد الذين أسهموا في بلورتها،كل حسب ثقافته وقدراته.وإن كانت بلاد المشرق تربة خصبة لنمو كثير من الآراء النقدية التي تأسست على يد جمع من النقاد أمثال الجمحي، والجاحظ،وابن قتيبة،وابن طباطبا وغيرهم. فإنّ بلاد المغرب لم تكن أرضا بورا؛بل كان لها من الخصوبة ما مكّنها من مواكبة الحركة النقدية في المشرق؛ حيث أنبتت نقادا أسهموا في إنعاش الساحة النقدية وإثرائها.

وفي هذا المقال،نحاول رصد الجهود النقدية التي عرفتها بلاد المغرب خلال القرن الخامس الهجري،وذلك بالوقوف على إسهامات علمين بارزين أنجبهما هذا القرن وهما:عبد الكريم النهشلي ،وابن رشيق القيرواني.ولتحقيق ذلك ارتأينا أن نمهّد بالتعريف بعصر الناقدين،وبعدها نعرض أهم القضايا النقدية التي تناولاها من خلال مصنفيهما الشهيرين "الممتع"و"العمدة".على أن لا نكتفي برصد الجهود فقط؛بل نحاول رصد ما أضافه كلّ ناقد مقارنة بسابقيه باعتباره حلقة في سلسلة طويلة.

وقد كشف البحث على أنّ ظروف العصر ساعدت على بروز حركة نقدية،كما أن كلا الناقدين قد أظهرا إطلاعهما الواسع على الجهود النقدية السابقة،وهو ما أكسبا مصنفاتهما فضل جمع آراء النقاد السابقين.

الكلمات المفتاحية

الجهود النقدية
بلاد المغرب
القرن الخامس الهجري
عبد الكريم النهشلي
ابن رشيق القيرواني.

Abstract

Critical opinions constitute the result of critics 'concerted efforts which have contributed to their crystallization. History revels that East' countries were considered as the birthplace of many critical opinions founding by critics such as Al-Jamhi, Al-Jahiz, Ibn Qutaiba, Ibn Tabatiba, and others. Indeed, the Maghreb has successfully accompanied literary criticism 'movement, whereas, its critics have contributed to the development and enrichment of criticism.

In this article, we try to monitor the critical efforts made by Maghreb' countries during the fifth century AH, by examining the contributions of two prominent scholars: Abd al-Karim al-Nahshli and Ibn Rishiq al-Qayrawani. So, we decided to start by introducing the era of the critics, then presenting critical issues of their two famous compilers "Al Mumti" and "The Mayor." we'll try then monitoring efforts and noticing what each critic added compared to his predecessors.

In fact, research revealed that era' circumstances helped the emergence of a critical movement, and showed their wide knowledge of previous critical efforts; consequently, their compilations collect the previous critics' opinions.

Keywords

Critical Efforts
Maghreb 'countries
Fifth Century AH
Abd al-Karim Al-Nahshli
Ibn Rashiq Al-Qayrawani

1- المؤلف المرسل

1. مقدمة

تشكلت الحركة النقدية بفضل جهود كثير من النقاد الذين أسهموا في بنائها، كلّ حسب ثقافته وقدراته وخصوصيات عصره، والبيئة التي احتضنته. وإن كان لبلاد المشرق الأسبقية في بلورة كثير من الآراء النقدية التي تأسست على يد جمع من النقاد أمثال ابن سلام الجمحي والجاحظ وابن قتيبة وابن طباطبا وغيرهم، فإنّ بلاد المغرب لم تكن ببعيد، وواكبت الحركة النقدية في المشرق؛ حيث أسفرت عن بروز نقاد كانت لهم اسهاماتهم البارزة على الساحة النقدية.

وإذا حاولنا رصد الجهود النقدية التي عرفتها بلاد المغرب خلال القرن الخامس الهجري ستلوح لنا أسماء نقدية كثيرة يأتي في مقدمتها عبد الكريم النهشلي وابن رشيق القيرواني، وعليهما سنقتصر دراستنا. وقبل الوقوف على أهم القضايا النقدية التي عالجها الناقدان آثرنا أن نستهلّ بلمحة موجزة عن الناقدين وعن عصرهما.

ففي القرن الخامس الهجري،كانت القيروان حاضرة زاهرة من حواضر العصر،جمعت ثلة من مشاهير العلماء والفقهاء ورجال الأدب والشّعر أمثال الحصري، وأبي عبد الله القزاز العالم النحوي، وعبد الكريم النهشلي الأديب الشاعر والناقد وابن رشيق الشاعر الناقد (محمد زغلول سلام، 2000). وبلغت القيروان ذروة النهضة في الحياتين العلمية والأدبية. ووجدت فيها تشجيعا كبيرا من قبل باديس الصنهاجي وابنه المعز، وأصبحت ملتقى المهاجرين والرحالة والكتب المهاجرة من المشرق والأندلس مما أدى إلى نمو حركة نقدية،كان لها أعلامها البارزين (إحسان عباس، 1981).

ففي عهد الدولة الصنهاجية انتعشت الحياة، وازدهرت معالم الحضارة،وساعد الاستقرار النسبي على ازدهار العلوم والآداب والفنون،ونشطت الحياة الثقافية حتّى غذت هذه الفترة بمثابة العصر الذهبي لبلاد المغرب.وكان لأمرائها الفضل في إنماء الحركة الفكرية والثقافية،فقد كان المعزّ محبًّا لأهل العلم،كثير العطاء ممّا جعل الشعراء والعلماء يتقربون منه ويلتفون حوله (بشير خلدون، 1981).

وعبد الكريم النهشلي كاتب وشاعر وناقد، عالم باللغة وأيام العرب، ولد بالمحمدية وبها تلقّى تعليمه، ثم رحل إلى القيروان حاضرة الملك والعلم والأدب؛ حيث أخذ العلم عن علمائها حتّى نبغ واشتهر (محمد بن سليمان بن ناصر الصيقل، 2004). وأشهر كتبه كتاب "الممتع في صنعة الشعر"، والذي أعتبر((أوّل كتاب تعرّض للشّعر بالدّراسة،وحاول أن يقيم علما خاصا به وأن يجعل من كتابه موسوعة في الشّعر وكلّ ما يتعلّق به)) (محمد زغلول سلام، 2000).

أما ابن رشيق (ابن خلكان) فقد كان شيوخه ذوي اتجاهات متنوّعة منهم اللّغوي والنّاقد والشّاعر والكاتب،حيث كانت تتجاوب في القيروان أصداء الثقافات المتنوّعة التي تصل أصواتها من مصر والشام والمشرق والأندلس فتأثر بذلك تأثرا عميقا (رشيد بوروبة وآخرون، 1984)، ومن أشهر مؤلفاته كتاب "العمدة في محاسن الشعر،وآدابه،ونقده".

2. أهم القضايا النقدية

ولا تختلف القضايا النقدية التي عالجها النقاد في بلاد المغرب عن تلك التي أثارها أندادهم بالمشرق، كما أنّهم لم ينطلقوا من فراغ فقد كانوا مطّلعين على مختلف الآراء النقدية السّابقة. وسنقف في دراستنا على أهم القضايا النقدية وهي:

1.2. حدّ الشّعر

قسّم النقاد القدماء الكلام إلى منظوم ومنثور، وطرحوا الكثير من القضايا التي ترتبط بهما، كالحديث عن أسبقية أحدهما عن الآخر، والمفاضلة بينهما، وتحديد الخصائص الفارقة لكلّ جنس. ولعلّ نقطة الانطلاق تحديد المفاهيم.

لم يلتفت عبد الكريم النهشلي في تعريفه للشّعر إلى المفاهيم التي قدّمها من سبقه من النقاد، وآثر الاختلاف فقال: ((والشّعر عندهم الفطنة،ومعنى قولهم ليت شعري؛أي ليت فطنتي)) (عبد الكريم النهشلي). وتحديد معنى الشّعر بالفطنة فيه إشارة إلى عنصر الوحي والإلهام الذي هو مصدر للإبداع الفني الخالد (بشير خلدون، 1981). فالنهشلي ينظر إلى الشعر على أنه المهارة والحذق والفطنة. وفي إطار المفاضلة بينه وبين النثر يقول: ((الشّعر أبلغ البيانين، وأطول اللسانين، وأدب العرب المأثور، وديوان علمها المشهور)) (عبد الكريم النهشلي). وبهذا فهو لا يخرج عن آراء الكثيرين الذين حكموا بأفضلية الشّعر، إضافة إلى أنه يدافع عن مكانته كشاعر في مواجهة الكتاب الذين يزاحمونهم وبذلك فهو حين يبيّن فضائل الشعر ومزاياه، فإنه يدافع عن الشعر في عصر غلبهم فيه الكتاب، وربما أزاحوهم عن مكانتهم في الدولة (عبد الكريم النهشلي).

أما ابن رشيق فقد ربط مفهوم الشّعر بما كان سائدا لقرون عدّة، لكنه لم يبق أسير ذلك المفهوم بل أضاف إلى ذلك عنصرين هامين هما:القصد والنية؛حيث يقول: ((الشّعر يقوم بعد النية على أربعة أشياء، وهي: اللّفظ، والوزن، والمعنى، والقافية، فهذا هو حدّ الشّعر، لأنّ من الكلام موزونا مقفى وليس بشعر؛ لعدم القصد والنية)) (ابن رشيق القيرواني، 2009). أي أننا لا نعتبر ما يقوله الشّاعر شعرا إلا إذا توفّرت النية ،وقصد إلى قول الشعر قصدا. والملاحظ أن ابن رشيق ذكر مقوّمات الشّعر الأربعة بعد النية،ووضْعُها في الصدارة دليل على أهميتها وضرورتها في العملية الشعرية،وإن كانت خارجة عن النّص الشّعري فإنها تمثل ((توجّه معظم الحداثيين، لأن أي خطاب شعري إن كان يخلو من هذه المقصدية يغدو نظما على غرار الشعر التعليمي)) (محمد مرتاض، 2014).

وهو بذلك لم يقف في مفهومه للشّعر عند حدود ضيقة، و((إنما قرّر حدّه للشعر بوعي وثقافة، وعمق الفهم وأصالته، لأنه يرى في الشعر فنا واحدا متكاملا بعناصره ومقوماته جميعا، إنه بهذه العناصر والمقومات كلّ لا يتجزأ، لا يقوم إلا بها مجتمعة، ولا يستطيع أن يؤدي وظيفته الفنية والشعرية بمعزل عن بعضها الآخر (محمد بن سليمان بن ناصر الصيقل، 2004)، فجودة عنصر من العناصر، لا يمكنها أن تنتج، ولوحدها، شعرا جيّدا.

وجعل الشّاعر يختلف عن الإنسان العادي من حيث قدرته الشعورية، وهو الأمر الذي يصنع اختلافه وتميزه، وذلك ما يتجلّى واضحا في قوله: ((وإنما سمّي الشاعر شاعرا؛ لأنه يشعر بما لا يشعر به غيره، فإذا لم يكن عند الشاعر توليد معنى ولا اختراعه، أو استظراف لفظ وابتداعه، أو زيادة فيما أجحف فيه غيره من المعاني،أو نقص ممّا أطاله سواه من الألفاظ،أو صرْف معنى إلى وجه عن وجه آخر؛ كان اسم الشاعر عليه مجازا لا حقيقة)) (ابن رشيق القيرواني، 2009).

وفي حديثه عن عناصر الشّعر، نجده يتّفق مع القدماء في تحديد ماهيته من حيث الشّكل، فالوزن والقافية شيئان لازمان في تعريف الشّعر لأنّهما من تمام الموسيقى التي هي من أهم عناصر الايحاء والإلهام في الشعر العربي على الخصوص (بشير خلدون، 1981). ولذلك اعتبر الوزن عنصر مهّم من عناصر الشّعر وركن أساسي من أركانه، فـ: ((الوزن أعظم أركان حدّ

الشّعر،وأولاها به خصوصية،وهو مشتمل على القافية وجالب لها ضرورة)) (بشير خلدون، 1981). والقافية مرتبطة بالوزن ومختصة بالشّعر، وبدونها لا يكون،فهي ((شريكة الوزن في الاختصاص بالشّعر، ولا يسمّى شعرا حتّى يكون له وزن وقافية)) (بشير خلدون، 1981).

ومن خلال تعريف ابن رشيق للشّعر، ووقوفه على مختلف عناصر العملية الشّعرية (موسيقى وخيال وعاطفة) ندرك أنه ((كان شاعرا فنانا قبل أن يكون ناقدا، يستعمل ذوقه كأديب وحسّه كفنان وعقله كمثقف، ومن هنا كانت نظرته إلى الشّعر نظرة متكاملة، بل هي نظرة ناقد متذوق يدرك عناصر الجمال ويعرف أسراره وخفاياه)) (بشير خلدون، 1981).

واستنادا إلى التقسيم الثنائي للكلام: الشّعر/النثر، واختلاف طبيعة أحدهما عن الآخر وضع النقاد المتقدمون مقاييس وشروط للشعر والنثر وجب على الأدباء الالتزام بها. هذه المقاييس تتعلّق بالألفاظ والمعاني، وبالوزن والقافية، وبثقافة الكاتب والشاعر.

فبالنسبة للألفاظ يقول ابن رشيق: ((وللشعراء ألفاظ معروفة، وأمثلة مألوفة، لا ينبغي للشاعر أن يعدوها،ولا أن يستعمل غيرها،كما أنّ الكتّاب اصطلحوا على ألفاظ بأعيانها سموها الكتابية لا يتجاوزونها)) (بشير خلدون، 1981). فابن رشيق يشير إلى خصوصية الألفاظ، وهو بذلك ((يطرح قضية المعجم اللّغوي فلكلّ من الشّاعر والكاتب معجمه اللّغوي الخاص الذي لا يحيد عنه عند تأليفه أو نظمه،وأن لا يلجأ إلى الألفاظ الأعجمية يضمّنها كلامه إلا عند الضرورة والندرة)) (جمال محمد صالح حسن، 2010).

- 2. 2. اللّفظ /المعنى

- انشغل النّقاد العرب القدماء بثنائية اللّفظ/المعنى، وأولوها اهتمامهم،وانقسموا إزاءها أقساما: قسم انتصر للّفظ، وآخر انتصر للمعنى، وثالث آثر الوسطية فساوى بين اللّفظ والمعنى.وإنّنا، في هذا الموضع، نتساءل عن موقف ناقدينا في هذه القضية، وإلى أيّ طرف انتصرا.

- يتجلّى موقف النهشلي من خلال التعليق الذي أورده ابن رشيق عليه، وأنه كان ممّن يؤثرون اللفظ على المعنى كثيرا في شعره وتآليفه، ثم أضاف قوله: ((الكلام الجزل أغنى عن المعاني اللطيفة من المعاني اللطيفة عن الكلام الجزل)) (ابن رشيق القيرواني، 2009). وانحياز الناقد إلى جهة اللفظ له ما يبرّره،ذلك أنّ ((الكلام الجزل هو الألفاظ القوية المعبرة،وإذا كان البيت الشعري يحتوي على كلام جزل فذلك يغنيه عن المعاني الجميلة اللطيفة، وليس العكس،فالمعاني اللطيفة إذا وجدت في القصيدة فإنها لا تغني عن الألفاظ الجزلة المعبرة،وهذا معناه أن الشعر في حاجة إلى ألفاظ مختارة قبل المعاني،لأن الألفاظ الجميلة تتضمن المعنى الجميل)) (بشير خلدون، 1981).

- وفي الموضع ذاته، واستكمالا للرأي السّابق روى أن من كلام عبد الكريم أنه أورد قول بعض الحذّاق: ((المعنى مثال، واللفظ حَذْوٌ، والحَذْوُ يتبع المثال؛ فيتغير بتغيره، ويثبت بثباته))، وفي هذا انتصار للمعنى على اللفظ،خاصّة وقد جعل اللفظ تابعا للمعنى،وهذا ما دفع ببعض الدارسين إلى

اعتبار أنّ ما ورد في هذين القولين دلالة على اضطراب الناقد حول هذه القضية (إحسان عباس، 1981)، فتارة ينتصر للّفظ وأخرى ينتصر للمعنى، وقد يكون هذا التذبذب ناتجا عن أهمية العنصرين معا وضرورة جودتهما في الشّعر.

- أما فيما يتعلّق بابن رشيق فقد اختلف النقاد في تحديد موقفه، فمن قائل إنه يؤثر المعنى، ومن قائل إنه يؤثر اللفظ (محمد بن سليمان بن ناصر الصيقل، 2004). واختلافهم في هذا الأمر مرده إلى ((أّن الأمر كان بالنسبة لهم أقرب إلى التحرّي والاجتهاد منه إلى الوضوح والقطع، ذلك أنّ ابن رشيق لم يكن واضحا كما ينبغي، حيث لا نقف له على كلمة تشير إلى رأي واضح صريح)) (محمد بن سليمان بن ناصر الصيقل، 2004). وفي ما يأتي سنعرض رأي الرجل في القضية.

- يفتتح ابن رشيق الباب الذي أفرده للّفظ والمعنى،بالحديث عن الارتباط والتلاحم الموجود بينهما،بحيث لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، والعلاقة بينهما وطيدة كعلاقة الروح بالجسد، يقول: ((اللفظ جسم، وروحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم:يضعف بضعفه، ويقوى بقوّته، فإذا سلم المعنى واختّل بعض اللّفظ كان نقصا للشّعر وهُجنة عليه .. وكذلك إن ضعف المعنى واختل بعضه كان للفظ من ذلك أوفر حظ .. ولا تجد معنى يختل إلاّ من جهة اللفظ .. فإن اختل المعنى كلّه وفسد بقي اللفظ مواتا لا فائدة فيه، وإن كان حسن الطلاوة في السمع..وكذلك إن اختل اللفظ جملة وتلاشى لم يصلح معه معنى؛ لأنا لا نجد روحا في غير جسم البتة)) (ابن رشيق القيرواني، 2009).

- ومنه يتّضح أنّ ابن رشيق لا يؤمن بالفصل التّام بين اللّفظ والمعنى،ويرى أن أي خلل في أحدهما يؤثر في الآخر (جمال محمد صالح حسن، 2010). فهو يقدّم ((إشارات صائبة لضرورة الالتحام بين اللفظ والمعنى ولو أمكن لهذه الفكرة أن تتبلور عند ابن رشيق،وأن تدرس دراسة علمية ذوقية مستفيضة، ومدعمة بالشواهد والتحليل لكان من الجائز أن تقضي على هذه الثنائية التي شاعت بين اللفظ والمعنى أمدا طويلا)) (محمد زكي العشماوي). وهو الحكم الذي أقرّ به أغلب الدارسين فـ((الرجل-وإن لم يحسن الإفصاح عن موقفه ورأيه في القضية كما ينبغي-معتدل الموقف ثابت النظرة إلى وجهي القضية،فقد آثر التوسط في الأمر من دون أن يميل إلى أي من اللفظ أو المعنى على حساب الآخر)) (محمد بن سليمان بن ناصر الصيقل، 2004).

- وبعد أن حدّد موقفه من قضية اللفظ والمعنى راح يعرض آراء الآخرين في القضية فقال إنّ للنّاس فيما بعد آراء ومذاهب: منهم من يؤثر اللفظ على المعنى فيجعله غايته، ومنهم من ذهب إلى سهولة اللفظ فعني بها، ومنهم من يؤثر اللفظ على المعنى، وأكثر النّاس على تفضيل اللفظ على المعنى (ابن رشيق القيرواني، 2009).

- واستنادا إلى ما ورد في هذا القول، ذهب بعض الدّارسين إلى الحكم بميله إلى تفضيل اللفظ، فهو وإن ((حاول أن يقف موقفا معتدلا هو الآخر في قضية اللفظ والمعنى،

غير أنه لم يستطع أن يخفي ميله إلى تفضيل الألفاظ حين صرّح بأن أكثر النّاس يميلون إلى العمل على جودة الألفاظ وحسن السّبك وصحة التأليف)) (بشير خلدون، 1981)، وهو يؤكد ما أشرنا إليه سابقا، من أن ابن رشيق لم يكن واضحا في عرض آرائه النقدية بطريقة كافية ممّا فتح المجال واسعا لاجتهادات الباحثين والدّارسين، وبالتالي تواجهنا تعدّد الآراء فيما يتعلق بالقضية الواحدة.

- 3.2. ال المطبوع /المصنوع

- يعدّ الطبع والصنعة من القضايا التي كانت محطّ اهتمام النقاد القدماء، وعنايتهم، ولها ارتباط بقضية القدماء والمحدثين، حيث كان بعض النقاد يفضّل شعر المتقدمين من شعراء العصر الجاهلي والأموي على شعر المحدثين في العصر العباسي؛ لأنهم كانوا يقولون الشّعر على طبيعتهم دون تكلّف وتعمّل (جمال محمد صالح حسن، 2010). وهذه القضية تتّصل بإعداد القصيدة، وما يبذله الشاعر من جهد.والنقاد يتّفقون على أن الشاعر المطبوع يأتيه الشعر طوعا وينقاد إليه دون كثير مشقة أو تكلّف، ودون أن يلجأ إلى إجهاد فكره وعقله وخياله. وشاعر الصنعة يسعى إلى تثقيف أشعاره ينقح ألفاظه ويعيد النظر في معانيه، فكأنه يصنع شعره صناعة يتصيّد الألفاظ الجميلة الموشية ويغرق في المعاني والصّور (بشير خلدون، 1981).

- على ما لهذه القضية من أهمية، إلا أنها لم تلق اهتمام النهشلي، كما يقرّ أحد الدارسين ((كنا ننتظر من عبد الكريم النهشلي أن يدلي بدلوه في قضية الطّبع والصنعة، لاسيما وقد عرفناه شيخ النقاد المغاربة في هذه الفترة الأدبية، غير أننا لا نكاد نعثر له إلا على أحكام عامّة مقتضبة كقوله هذا شعر مطبوع،أو شاعر متكلف)) (بشير خلدون، 1981).

- غير أنّ الأمر لم يكن كذلك عند ابن رشيق، فقد أفردها بباب مستقل أسماه" باب في المطبوع والمصنوع"، استهله بضبط حدّهما فقال: ((ومن الشعر مطبوع ومصنوع، فالمطبوع هو الأصل الذي وضع أولا، وعليه المدار.والمصنوع وإن وقع عليه هذا الاسم فليس متكلفا تكلف أشعار المولدين، لكن وقع فيه هذا النوع الذي سموه صنعة من غير قصد ولا تعمل،لكن بطباع القوم عفوا،فاستحسنوه ومالوا إليه بعض الميل،بعد أن عرفوا وجه اختياره على غيره)) (ابن رشيق القيرواني، 2009). فابن رشيق يجعل المطبوع هو الأصل، وهو ما جاء به الطبع، ويجعل المصنوع نوعين:ما عند العرب المتقدمين، وتكون الصنعة فيه من غير تكلف، وما عند المحدثين(المولدين)، وتكون الصنعة فيه مقصودة قصدا.

- وإن كان قد جعل المطبوع هو الأصل، فإنه لم ينتصر له دائما.ففي إطار المفاضلة بين الطبع والصنعة،احتكم إلى القيمة الفنية، وأن المصنوع إذا كان في غاية الحسن، ولم تبد عليه سمات التكلف كان أقرب إلى النفس من المطبوع.يقول: ((ولسنا ندفع أن البيت إذا وقع مطبوعا في غاية الجودة ثم وقع في معناه بيت مصنوع في نهاية الحسن لم تؤثر فيه الكلفة ولا ظهر عليه التعمّل كان

المصنوع أفضلهما)) (ابن رشيق القيرواني، 2009). وهو لا ينحاز لطرف عن آخر،وإنما يدعو الشعراء إلى الأخذ من هذا وذاك،وذلك بالمحافظة على الطبع والاهتمام بالصنعة، يقول: ((وسبيل الحاذق بهذه الصناعة-إذا غلب عليه التصنيع-أن يترك للطبع مجالا يتّسع فيه)) (ابن رشيق القيرواني، 2009).

- وما يمكن أن نخلص إليه هو أن القيرواني ((كان أبعد نظرا وأوسع فهما لموضوع الطبع والصنعة والتكلف، فهو لم يجعل الطبع حصرا على الشعراء القدامى من الجاهليين والإسلاميين كما لم ينف عنهم معرفتهم بالصنعة والتهذيب، ولم يعتبر مذهب الصنعة من اختيار المولدين وحدهم، وإنما هم زادوا فيه وجعلوه مطلبا في أشعارهم، يسعون إلى الحلي اللفظية والمعنوية، ولو أدى ذلك إلى التعمّل والتكلف)) (بشير خلدون، 1981).

2.4. القديم/الجديد

وهي واحدة من القضايا النقدية المطروقة منذ القدم، والتي أثيرت تحت مسمى "القدماء والمحدثين" ويقصد بالقديم الأدب الذي قيل بدءا من الجاهلية إلى العصر الأموي،وهو التراث الذي أجمع النقاد وعلماء العربية على صحة الاحتجاج به.والجديد هو الذي يبدأ مع قيام الدولة العباسية ويستمر فيما بعدها.وتبعا لذلك انقسم الشعراء إلى طائفتين: الأولى حافظت على طريقة القدماء من حيث الصياغة والعبارة وطرق الموضوعات، والثانية مالت إلى الاختراع والتجديد في الشكل أو المضمون، وثارت على عمود الشعر العربي (بشير خلدون، 1981). وبانقسام الشعراء انقسم النقاد،ونشبت بينهم خصومة عنيفة حاول فيها كل طرف الانتصار لمذهبه والاستماتة في الدفاع عنه.

وعند استجلاء موقف ناقدينا من هذه القضية،يطالعنا النهشلي بوجهة نظر مختلفة،فهو لا ينظر إلى القضية من الزاوية التي نظر منها القدماء ولم يحتكم إلى معيار الزمن فحسب؛بل إلى البيئة وما تفرضه من خصوصيات.وفي الحديث عن أثر البيئة قال: ((قد تختلف المقامات والأزمنة والبلاد فيحسن في وقت ما لا يحسن في آخر، ويستحسن عند أهل بلد ما لا يستحسن عند أهل غيره، ونجد الشعراء الحذاق تقابل كل زمان بما استجيد فيه وكثر استعماله عند أهله، بعد أن لا تخرج من حسن الاستواء، وحد الاعتدال وجودة الصنعة .. والذي أختاره أنا التجويد والتحسين الذي يختاره علماء الناس بالشعر، ويبقى غابره على الدهر، ويبعد عن الوحشي المستكره، ويرتفع عن المولد المنتحل، ويتضمن المثل السائر، والتشبيه المصيب، والاستعارة الحسنة)) (ابن رشيق القيرواني، 2009).

واضح من هذا القول،أن النهشلي يدعو إلى مراعاة اختلاف الزمان والمكان،فالحاذق ما كان شعره صالحا مقبولا في كل زمان ومكان، وتلك هي ((الدعوة إلى العالمية ،لأنّ الشاعر الذي يبقى متأثرا بالمناخ الضيق والإقليم والبلد والبيئة،فإن شهرته لا تتجاوز حدود بيئته الضيقة ولا يكتب لشعره الخلود ولا يضمن لمعانيه الاستمرار)) (بشير خلدون، 1981).

وفي إطار تقييم هذا الرأي الذي أثاره عبد الكريم، ذهب بعضهم إلى القول أنه مسبوق في ذلك غير أنه ((نقل هذا إلى مستوى جديد حين تحدّث -في افريقية- عن اختلاف إقليمي يترك أثره في الشعر، وبدلا من أن يذهب إلى اعتناق هذا الاتجاه الاقليمي رأى أن الشعر الخالد "الذي يبقى غابره على الدهر" ليس هو الذي يتشبث بملائمة البيئة الاقليمية، وإنما هو الذي ينبني على "التجويد والتحسين" ويستضيء

بضوء الأحكام النقدية العامة)) (إحسان عباس، 1981).

وقد أيّد ابن رشيق رأي أستاذه في رفض الاقليمية الضيقة ثم علّق على ما سبق قائلا: ((فليس من أتى بلفظ محصور يعرفه طائفة من الناس دون طائفة، لا يخرج من بلده ولا يتصرف من مكانه، كالذي لفظه سائر في كل أرض، معروف بكل مكان)) (ابن رشيق القيرواني، 2009).

ولم يغفل ابن رشيق الخوض في قضية القديم/الجديد، وكانت له نظرته الخاصّة؛ بحيث لم ينجذب إلى طرف دون آخر و((كل قديم من الشعراء فهو محدث في زمانه بالإضافة إلى من كان قبله، وكان أبو عمرو بن العلاء يقول: لقد أحسن هذا المولد حتى هممت أن آمر صبياننا بروايته،يعني بذلك شعر جرير والفرزدق... وكان لا يعدّ الشّعر إلا ما كان للمتقدمين)) (ابن رشيق القيرواني، 2009). وجودة الشّعر عنده لا تقاس بالأسبقية الزمنية، فلا القديم جيدا لقدمه، ولا الحديث سيئا لحداثته، بل كل حسب جودته الفنية، فـ((ابن رشيق لا ينظر إلى الشعر القديم نظرة قداسة وتميز، ولكنه يقدّر الجودة والتميز؛باعتبار أن القيمة الفنية للشعر لا تكون بغرابة الألفاظ والإيغال في المعاني، ولكن بتطبيق اللفظ المشرق،والمعنى الرقيق)) (محمد مرتاض، 2014).

ولتوضيح رأيه أكثر،عمد إلى مفاضلة بين القدماء والمحدثين أقامها على التشبيه فقال: ((وإنما مثل القدماء والمحدثين كمثل رجلين:ابتدأ هذا بناء فأحكمه وأتقنه،ثم أتى الآخر فنقشه وزينه، فالكلفة ظاهرة على هذا وإن حسن، والقدرة ظاهرة على ذلك وإن خشن)) (ابن رشيق القيرواني، 2009). وعليه يمكن استنتاج أن الشعر الجيّد هو الذي يجمع بين الأصالة والحداثة،فلا هو منقطع عن القديم،ولا هو غارق في الحديث،وبهذا يكون قد انتهج مذهب الوسطية والاعتدال، وهو ما صرّح به قائلا: ((وليس التوليد والرقة أن يكون الكلام رقيقا سفسافا، ولا باردا غثّا،كما ليست الجزالة والفصاحة أن يكون حوشيا خشنا،ولا أعرابيا جافيا،ولكن حال بين حالين)) (ابن رشيق القيرواني، 2009).

- 2. 5. قضية السرقات

وتعدّ من القضايا الشائكة التي عرفها النقد العربي القديم، و((مدار هذه القضية حول الخلق الفني وتطوره. أما باعث المشكلة في هذه القضية، فهو الاتجاه لتحديد الموقف من هذا الخلق الفني المبدع أو المخترع. هل هو مقصور على مبدعه أو مخترعه الأول؟ أو يتجاوزه إلى غيره؟ وإذا سمح بتجاوزه، فإلى أي حد يبلغ هذا التجاوز،وعلى أي صورة يكون)) (محمد بن سليمان بن ناصر الصيقل، 2004).

وبالوقوف على معنى هذه القضية نجد أن السرقة لغة هي اختلاس ما للآخرين، واصطلاحا هي أن يعمد الشاعر إلى أبيات شاعر آخر فيسرق معانيها أو ألفاظها وقد يسطو عليها لفظا ومعنى، ثم يدّعي ذلك لنفسه (بشير خلدون، 1981).

ويذهب الدارسون إلى أن هذه القضية لها صلة بقضية اللفظ والمعنى،ولكنها بدأت تأخذ أبعادها بعد ظهور الشعراء المحدثين، وتتبع النقاد لشعرهم بإظهار محاسنهم ومساوئهم، وأخذهم عمن سبقهم واتهامهم بالسرقة، وبأنهم عالة على المتقدمين من الشعراء في كل شيء، وإن ظهر من شعرهم بأنهم مجددون (جمال محمد صالح حسن، 2010).

وبدأت شقة الخلاف بين النقاد تتّسع عندما ظهرت الخصومة بين أنصار القديم (الطبع)، وأنصار الجديد(الصنعة)، وعليه ((يمكن القول إن دراسة السرقات لم تظهر بصفة منهجية واضحة إلا بعد ظهور أبي تمام والبحتري،فبسبب الخصومة النقدية حولهما

ألف النقاد مجموعة هائلة من الكتب تناولت بالدراسة وتقصي المعاني مشكلة السرقات، واستعملوا لأول مرة لفظ السرقة)) (بشير خلدون، 1981).

والحقيقة أنّ السّاحة النقدية لم تعرف هذه القضية بداية، وأنّ ظهورها لم يشتد ((إلاّ في أواخر القرن الثاني، وخلال القرن الثالث تبعا لاحتفاء الشعراء بمظاهر الصنعة وعنايتهم بألوان البديع، فتبع ذلك نشاط النقاد في المتابعة وحركة التأليف، التي لم تكن بواعث الكثير منها نزيهة منصفة)) (محمد بن سليمان بن ناصر الصيقل، 2004).

ويعدّ عبد الكريم من النقاد المغاربة الذين خاضوا في هذه المسألة، وإن انحصر اجتهاده في عرض آراء من سبقه من النقاد؛ إذ ((قالوا: السَّرَقُ في الشعر ما نقل معناه دون لفظه،وأبعد في أخذه ... والسرق أيضا إنما هو في البديع المخترع الذي يختص به الشاعر، لا في المعاني المشتركة التي هي جارية في عاداتهم ومستعملة في أمثالهم ومحاوراتهم، مما ترتفع الظنة فيه عن الذي يورده أن يقال إنه أخذه من غيره)) (ابن رشيق القيرواني، 2009).

وعليه فالنهشلي لا يختلف عمن سبقه من النقاد المشارقة في أن السرقة لا تكون إلا في المعاني أولا ثم هي في البديع المخترع الذي يختص به شاعر بعينه، وليست في الألفاظ ولا في المعاني المشتركة (بشير خلدون، 1981). وهو في كل ذلك يكون قد كرّر آراء النقاد السابقين (إحسان عباس، 1981). وقال: ((اتكال الشاعر على السرقة بلادة وعجز، وتركه كل معنى سُبق إليه جهل، ولكن المختار له عندي أوسط الحالات)) (ابن رشيق القيرواني، 2009). إنه يحدّد السبيل الأنسب للشاعر وهي التوسط في الأمر.

أما ابن رشيق فيقرّر،ومن البداية،أن السرقة أصبحت ظاهرة عامة،لا يمكن للشاعر ادعاء سلامته منها،فهي : ((باب متسع جدا،لا يقدر أحد من الشعراء أن يدّعي السلامة منه،وفيه أشياء غامضة،إلاّ عن البصير الحاذق بالصناعة،وأخر فاضحة لا تخفى على الجاهل المغفل)) (ابن رشيق القيرواني، 2009).

وقد أورد قولا نسبه إلى بعض الحذّاق من المتأخرين،وفيه حصر السرقة في ثلاث صور،هي (ابن رشيق القيرواني، 2009):

- أخذ المعنى بلفظه،وهو السرقة المحضة.
- أخذ المعنى مع تغيير بعض اللفظ،وهو السّلخ.
- تغيير بعض المعنى لإخفائه وقلبه عن وجهه.وهو دليل حذقه وبراعته.

وعليه، فالسرقة عنده لا تكون في المعاني المشتركة والمتداولة بين الناس، وإنما تكون في أخذ المعنى بلفظه، وأما تغير المعنى لإخفائه وقلبه عن وجهه فهو دليل على حذق الشاعر ومهارته.

3. خاتمة

وبعد الوقوف على الجهود النقدية في بلاد المغرب خلال القرن الخامس الهجري، وذلك من خلال عرض جهود كل من عبد الكريم النهشلي وابن رشيق القيرواني، يمكننا تسجيل الملاحظات الآتية:

- كانت الظروف مواتية لظهور حركة نقدية واحتضانها.فالقيروان حاضرة المغرب العربي، شهدت في القرن الخامس الهجري ازدهارا في المجال العلمي والثقافي والأدبي،كما عرفت استقرارا وانفتاحا ساعدا على نمو الحركة الأدبية والنقدية فيها، وهو ما فتح المجال واسعا أمام النهشلي والقيرواني وغيرهما.
- لم ينطلق الناقدان من فراغ في عرض آرائهما النقدية، فما ورد في كتابيهما يؤكد أنهما كانا

على اطلاع واسع على جهود النقاد في المشرق أو من سبقهم في المغرب.

- تباينت آراء الناقدين في القضايا المدروسة بين عرض آراء السابقين واتباعها،وبين التزام الوسطية، مما يدل على اختلاف وجهات النظر.
- لم تكن قيمة "العمدة" و "الممتع" تنحصر فيما يضيفان من جديد بقدر ما كانت تتجلى في جمع مختلف الآراء النقدية السابقة.
- وأخيرا لم تكن الغاية من هذه الدراسة الوصول إلى آراء نقدية جديدة، بقدر ما كانت تأكيدا على وجود نشاط نقدي في بلاد المغرب، يكفيه أنه أنتج لنا كتابين، لا يمكن لأحد تجاوز ما فيهما من قيمة سواء في المشرق أو المغرب.

- المصادر والمراجع

- ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح احسان عباس، مج 2، دار صادر، بيروت، ص 85.
- ابن رشيق القيرواني، (2009)، العمدة في محاسن الشّعر،وآدابه،ونقده،ج1، تح محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع،مصر، ص 78، 79، 81، 80، 100، 103، 106 وما بعدها، 109، 110، 113.
- ابن رشيق القيرواني، (2009)، العمدة في محاسن الشّعر، وآدابه، ونقده، ج2، تح محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، مصر، ص 242-243.
- إحسان عباس، (1981)، تاريخ النقد الأدبي عند العرب نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط3، ص 439-440، 442، 443.
- بشير خلدون، (1981)، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 21 وما بعدها، 58. 82، 109، 115، 128 134، 136، 172، 177، 182، 201، 206، 211، 217، 218، 223.
- جمال محمد صالح حسن، (2010)، الجهود النقدية والبلاغية عند العرب حتى القرن السابع الهجري، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، ص 29، 34، 68، 76.
- رشيد بوروبة وآخرون، (1984)، الجزائر في التاريخ،ج3،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر، ص 246.
- عبد الكريم النهشلي: الممتع في صنعة الشعر، تح محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، مصر، ص 16، 19، 84،
- محمد بن سليمان بن ناصر الصيقلر، (2004)البحث البلاغي والنقدي عند ابن رشيق القيرواني في كتابه (العمدة)، مركز الملك فيصل للبحوث،الرياض، ط1، ص 44، 205، 451، 492، 492 523، 524.
- محمد زغلول سلام، (2000)، تاريخ النقد الأدبي والبلاغة من القرن الخامس إلى العاشر الهجري، ج2، منشأة المعارف، مصر، ط1، ص 30. 139.
- محمد زكي العشماوي: قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، دار النهضة العربية، بيروت، ص 270.
- محمد مرتاض، (2014)، النّقد الأدبي في المغرب العربي(بين القديم والحديث)، دار هومة، الجزائر، ص 35. 41.